كليـــات الشريعة والدراسات الإسلامية وعلاقتها بواقع الأمة ومشكلاتها

أ.م.د. عـادل صـالح علي الفقيه
أستاذ الفقه المشارك– كلية الآداب– جامعة صنعاء

ملخص البحث:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين محمد بن عبدالله عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأزكي التسليم وبعد: فإن هذا البحث الذي يحمل عنوان (كليـــات الشريعة والدراسات الإسلامية وعلاقتها بواقع الأمة ومشكلاتها) حيث يتحدث هذا البحث عن علاقة هذه الكليات والأقسام التي تعني بعلوم الدراسات الإسلامية من خلال وجودها بالكثير من الجامعات والمراكز والأقسام الموجودة في الجامعات الحكومية والأهلية في العديد من الدول العربية والإسلامية، إذ أن إنشائها قام لغايات كبرى وأهداف كثيرة من أهمها تنوير المجتمع بأهداف الإسلام وغاياته العظمى وكذلك المساهمة في حل الكثير من المعضلات والمشاكل التي تواجه المجتمع وحلها بصيغة إ سلامية لا تتعارض مع مبادئ الشريعة الإسلامية وغير ذلك من الأهداف والغايات ولكن الناظر لواقع الحال يرى هناك بونا شاسعا بين ما أشأت لأجله وبين واقع الحال وهذا البحث يبحث في ذلك ويوضح سبب هذا البعد ويعرض بعض الحلول لهذه المشكلة، وقد قسمت هذا البحث على النحو الآتي:

أولاً: المقدمـة ثانياً: العلم وأهميته ومكانته وعلاقته بحياة الناس. ثالثاً: العلوم الإسلامية وعلاقتها بحياة المسلمين. رابعاً: الهدف من إنشاء كليات الشريعة والدراسات الإسلامية. خامساً: نظرة في مناهج هذه الكليات وعلاقتها

بحياة الناس ومشكلاتهم. سادساً: كيفية تفعيل هذه المناهج وربطها بواقع الناس. سابعاً: التوصيات. ثامناً: الخاتمة. تاسعاً: المراجع والمصادر. عاشراً: الفهرس.

The summery of the research:

Praise be to Allah lord of the world, and peace and blessing to the greatest God's creature prophet Mohammed ibn Abdullah, and yet:

The research that hold the title of ^The Relationship between TheFaculties of Al sharia and Islamic Studies and The Reality of This Nation with its Problems ^. This research is talking about this relation with these faculties and sections that care of science Islamic Studies through their existence in several of the universities, centers, and the sections that are in the public and private universities in many Arab and Islamic countries. Since, there established have been to great goals and super purposes. The most important goal is to enlighten the goals and purposes of Islam to the society. In addition, it participates to solve many problems and dilemmas in Islamic way that face the society. These solutions do not conflict whit theprinciples of Islamic sharia and many of the goals. However, the beholder for the reality of the situation sees there is much difference between what is establishing for, and what the reality is now. The research is looking for this and clarifying the reason of the dimension. Furthermore, it shows some solutions for these problems, so this research divides as follow:

First: the introduction, second: the importance of science and its relationship with people lives, third: the relationship between Islamic science and Muslims lives, forth: the purpose of establishing the collages of AL sharia and Islamic Studies, fifth: a look at the curricula of theses

collages and its relationship with people lives and their problems, sixth: how to activate theses curricula and link them to the reality of people, seventh: the recommendation, eighth: the conclusion, ninth: reference and resources, finally: the index .

أولاً : المقـــدمـــة:

الحمد لله العلي الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى، مالك الملك وخالق الناس أجمعين القائل: **[شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالمَلَائِكَةُ وَأُولُو العِلْمِ]**(١)، والقائل أيضاً: **[يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ]**(٢).

سبحانه ما أكرمه خص عباده المتعلمين بأرفع الدرجات وأعلاها مكافئة لهم، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين محمد بن عبدالله عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأزكى التسليم القائل: (فضل العلم خير من فضل العبادة)(٣). والقائل أيضاً: (طلب العلم فريضة على كل مسلم)(٤). والقائل: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)(٥).

ويعـــد: فإن منزلة العلم في الإسلام منزلة بغاية السمو والتكريم فبالعلم قام الإسلام، وعن طريقه انتشر في ربوع المعمورة، لذلك فإن الإسلام حض عليه،وأولاه اهتماماً عظيماً وعلق عليه ثواباً كبيراً من الله تعالى.

---

(١) سورة آل عمران، آية (١٨).

(٢) سورة المجادلة، آية (١١).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف. (٨٨/٧) .

(٤) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد. (١١٩/١) .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه. (٧١٨/٢) .

وذلك لما للعلم من علاقة مباشرة في حياة الناس من خلال التوجيه والتأثير في أغلب جوانب حياتهم اليومية،سواء الاقتصادية أم الأخلاقية أم الثقافية أم السياسية أم الصناعية أم غيرها من الجوانب الأخرى المتعلقة بحياة الإنسان، والعلوم الشرعية هي جزء من هذا العلم الذي يؤثر في حياة الإنسان، وذلك لارتباط العلوم الشرعية بحياة المسلم بشكل كبير، ويجب على المسلم لذلك أن يُسير حياته وفق هذه العلوم التي تمثل المنهج الرباني الذي ارتضاه الله تعالى لعباده المؤمنين، وهذا لن يتأتى إلى من خلال معرفة هذه العلوم والتفاعل معها والاستجابة لما جاءت به من نُظم وقوانين تستقيم معها حياة الإنسان إذا ما طبقها على الوجه الذي جاءت به من عند الشارع الحكيم، عندها يمكن معرفة مدى تأثير هذه العلوم في حياة الإنسان المسلم، وهذا هو ما كان عليه حال الأمة الإسلامية حين بلغت القمة في كل شيء علمياً واقتصادياً وثقافياً وعسكرياً، ولكن لما غُيبت هذه المناهج والمعارف من حياة المسلمين– وإن وجدت أحياناً وجدت بالشكل غير المطلوب – لما حدث ذلك رأينا كثرة المعاهد والجامعات والكليات الشرعية التي تدرس هذه المناهج، ولكن مع ذلك لا نرى لها أي تأثير في حياة المسلمين، بل إن بعض الدارسين لهذه العلوم قد يكون حالهم أسوأ من حال من لم يقم بدراسة هذه العلوم والمعارف.

فما هو السبب الذي أدى إلى حدوث هذا الأمر؟ مع أن العلوم هي نفسها لم تتغير لا في الماضي ولا في الحاضر وكذلك مصادرها لم تتغير.

أسباب البحث:

هناك العديد من الأسباب لكتابة هذا البحث سوف اذكر بعضها منها:

١- انعدام شبه كلي لتأثير هذه الكليات والأقسام على المجتمعات التي نشأت فيها؟

٢- عدم وجود ثقة مجتمعية كبيرة بها لتعود إليها عند الحاجة.

٣- ضعف مخرجات هذه الكليات والأقسام عند ممارستها لما تعلمته؟

٤- عدم وجود مراكز أبحاث تابعة لها مرتبطة بالمجتمع تعمل على النظر بمشاكل المجتمع وما يوجهه من معضلات في حياته اليومية وتقوم بمساعدته في حلها وفق قواعد الشريعة الإسلامية.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في أنه يتناول مشكلة واقعية قد لا يخلوا منها مجتمع من العربية والإسلامية في الوقت الحالي وفي ضل المؤامرة الكبيرة على العلوم الإسلامية وهذه المشكلة تكمن في ضعف كليات الشريعة والأقسام والمراكز الخاصة بعلوم الدارسات الإسلامية من الارتباط بواقع مجتمعاتها وكذلك ضعف مخرجاتها ، ومن أهميته أنه يوضح الأسباب التي أدت إلى ذلك ثم يقوم بوضع بعض الحلول التي قد تعمل على تجنب كل ذلك.

إذا في هذا البحث القصير سوف أحاول أن أجيب عن هذا التساؤل من خلال النظر في مناهج الكليات الشرعية والدراسات الإسلامية وعلاقتها بواقع الأمة ومشكلاتها .

فأسال الله تعالى أن أوفق في هذا البحث بالشكل الذي يزيل اللبس حول هذا الموضوع الذي أصبح واقعاً ملموساً نشاهده ونراه في أغلب خريجي

هذه الكليات والجامعات وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثانياً: العلم وأهميته ومكانته وعلاقته بحياة الناس

العلم هو إدراك الشيء على ما هو عليه، وقيل: هو زوال الخفاء من المعلوم، وقيل أيضاً: وصول النفس إلى معنى الشيء[١].

فالعلم هو معرفة الشيء على حقيقته وهو من أفضل ما رزقه الله الإنسان لأهميته الكبرى في حياة الفرد والمجتمع على حدٍّ سواء .

ولأهمية العلم واهتمام الدين الإسلامي به فقد كانت أول آية نزلت في كتاب الله تعالى والدستور الخالد للمسلمين إلى يوم القيامة تدعو إلى العلم يقول الله سبحانه وتعالى في سورة العلق : **[اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ]** [٢] . وهذه أول الآيات نزولا على النبي صلى الله عليه وسلم وفيها أمر له ولكل فرد من أفراد أمته أن يقرأ ويتعلم أي علم يكون له ولغيره فيه نفع في دينه ودنياه وقد رافق هذا الأمر بيان سماوي آخر عن مكانة العلم والعلماء .

ويقول الله تعالى في منزلة أهل العلم أيضاً: **[شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالمَلَائِكَةُ وَأُولُو العِلْمِ قَائِمًا بِالقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ]**[٣].

وفي هذه الآية إشارة واضحة إلى أن الذين يشهدون بالوحدانية المطلقة هو الله عز وجل وملائكته وأولو العلم، وفيها دلالة على أن العلماء يتميزون

---

(١) انظر: التعريفات. للجرجاني. (١٩٩/١) .

(٢) سورة العلق، آية (١-٥).

(٣) سورة آل عمران، آية (١٨) .

بعلومهم ومعارفهم، وبإدراكهم عن الذين لا يعلمون لذلك يقول الله تعالى: **[قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ]**(١).

ويقول الله تعالى كذلك في بيان مكانة أهل العلم ومنزلتهم عند الله تعالى: **[يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ]**(٢). ويقول أيضاً: **[نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ]**(٣).

ففي هذه الآيات تذكير بأهمية العلم والعلماء ورفع درجاتهم في المجتمع، لأنهم نواة التغيير والتجديد، ونواة التقدم العلمي والحضاري للوصول إلى مستويات راقية لتسهيل الحياة على الناس.

ولأهمية العلم فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستفتح النهار بأذكار منها: (اللهم إني أسألك علماً نافعاً)(٤). ويقول صلى الله عليه وسلم: (إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في جوف البحر يصلون على معلم الناس الخير)(٥). ويقول أيضاً: (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً ، سهل الله له به طريقاً إلى الجنة)(٦) .

فهذه الأحاديث تدل على أهمية العلم وأهمية تعلمه والدرجات الرفيعة التي ينالها طالب العلم وهذا في العلم عامة ولكنه يؤكد في حديث آخر على أهمية العلوم الشرعية لمباشرتها لواقع الناس والتصاقها بحياتهم ليست العامة بل

---

(١) سورة الزمر، آية(٩).

(٢) سورة المجادلة، آية(١١).

(٣) سورة يوسف، آية(٧٦).

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه. (٢٨٣/١)، والحاكم في المستدرك. (٦٤٦/١).

(٥) أخرجه الترمذي في السنن. (٥٠/٥)، وقال: حديث غريب.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه. (٢٠٧٤/٤).

اليومية لذا فإنه صلى الله عليه وسلم يقول: (من يرد الله به خيراً يفقه في الدين)[١]. فهذه الخيرية تختص بطلب العلوم الشرعية لمكانتها وكونها أول العلوم التي يجب على المسلم أن يعرفها لعلاقتها بدينه ، ومن خلال الأحاديث السابقة نرى أهمية العلم ومكانته في الدين الإسلامي ، وهذا يشمل أي علم يكون للمسلم ولغيره فيه نفع في معيشته وحياته اليومية ما لم يتعارض مع مقاصد الشريعة الإسلامية. وذلك لأن العلوم الدنيوية ضرورة لتنمية معاش المسلمين وفيها تحقيق لمصالحهم وهذا يتوافق مع مقاصد الشريعة الإسلامية التي ابتنت على جلب المصالح ودرء المفاسد فكل ما فيه مصلحة للإنسان فإنها تسعى إليه وتحققه بشرط عدم تعارضه مع مقاصدها العامة.

إذاً فكل العلوم مطلوبة مرغب فيها ويؤجر عليها الإنسان سواء كانت علوم شرعية أو دنيوية لأن الإنسان في هذه الحياة لا يستطيع أن يعيش بالعلوم الشرعية فقط بل لابد من العلوم الدنيوية التي تستقيم حياته الدنيوية معها وتكفل له كذلك تسهيل حياته اليومية من مختلف الجوانب.

أما علاقة العلم بحياة الناس فإنها علاقة وثيقة لا يمكن أن ينفرد أحدهما عن الآخر، فلا قيام ولا استمرار لحياة الإنسان بدون علم سواءً في الماضي أو في الوقت الحالي الذي أصبح فيه العلم أشد ضرورة لحياة الإنسان .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه . (٧١٨/٢) .

وإذا ما علمنا أن الله تعالى خلق الإنسان ليكون خليفته في الأرض قال تعالى : **[إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً]**[١]. والخليفة مهمته عمارة الأرض وفق المنهج الرباني، وعمارة الأرض لا تكون إلا عن علم راسخ بمعرفة علوم الصناعة والزراعة، وعلم راسخ في الاقتصاد والتجارة وطرق تنميتها واستثمار الوسائل العصرية الحديثة في خدمة الإسلام والدفاع عن حياض الأمة ، فالأمم التي تقدمت في ميادين العلم المختلفة لم تصل إلى ما وصلت إليه إلا بعد نجاحها في إدارة مؤسساتها وانضباط سلوك العاملين فيها وفق مبادئ العلم الحديث، عكس الأمم التي فشلت في إدارة مؤسساتها وفق مبادئ العلم الحديث مما أدى إلى فشلها وتأخرها عن ركب الحضارة والتقدم العلمي والثقافي والصناعي.

والأمة الإسلامية تحتاج إلى العلم مثلها مثل غيرها، فهي بحاجة إلى جميع العلوم النافعة في حاضرها ومستقبلها وذلك للدفاع عن عقيدتها وشرعيتها واستمرارها في هذه الحياة بالصورة التي يريدها الله سبحانه وتعالى لها وهذا لا يمكن أن يتم إلا عن طريق العلم يقول الله تعالى: **[وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الخَيْلِ]**[٢].

فهذا الإعداد لا يمكن أن يكون عن طريق غير طريق العلم الذي جعل الأمة الإسلامية هي سيدة العالم في فترة من الفترات لما أخذت به وكل ما يقود إليه، ولكنها لما تخلت عنه أصبحت في ذيل الأمم في مختلف المجالات.

---

(١) سورة البقرة. آية (٣٠).

(٢) سورة الأنفال. آية (٦٠).

لذا فإن علاقة الأمة الإسلامية بالعلم علاقة وثيقة لأن دينها هو دين العلم كما مر معنا وفي العلم سعادتها ورفعتها وسيادتها كما كان حاصل معها فيما مضى من القرون لذا فإن عليها العودة إلى العلم والتمسك به وتعليمه لأبنائها حتى تحقق الغرض من وجودها على هذه الأرض.

ثالثاً: العلوم الإسلامية وعلاقتها بحياة المسلمين.

بيَّنا فيما سبق أهمية العلم ومكانته وعلاقته بحياة الناس بشكل عام وقد تبين لنا من خلال ذلك أن التربية والتعليم يمثلان الأهمية الكبرى في حياة الأمة لأنهما يصنعان عقول ونفوس أبناء الأمة الإسلامية والتي هي أهم أسلحة هذه الأمة.

وهنا سوف نعرف العلوم الشرعية ونبين المقصود منها وما مدى علاقتها بحياة المسلمين وواقعهم.

مصطلح ((العلوم الدينية أو الشرعية)) مصطلح ليس بالقديم وذلك لأن العلوم المرتبطة به لم تكن موجودة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم بهذا التفصيل وإن كانت موجودة أصلاً بدون هذا التفصيل وكذلك لم تكن موجودة في عهد الخلافة الراشدة، وكذلك في الخلافة الأموية وصدر من الخلافة العباسية بمعنى أن هذا المصطلح لم يظهر إلا في فترة متأخرة قد تكون فترة تابعي التابعين، إبان عصر التدوين الذي شهد توسعاً حضارياً كبيراً، وحركة علمية ضخمة نتيجة احتكاك المسلمين بالأمم الأخرى وانتشار الأمن والاستقرار ووجود الطفرة المالية التي تحتاجها غالباً العلوم بشكل عام، وكذلك نتيجة دخول أعداد كثيرة من الناس في الإسلام وانفتاح المسلمين على ثقافتهم.

نتيجة لذلك كان لابد من وجود علوم تستند في أصولها على الكتاب والسنة أهم مصادر الشريعة الإسلامية، لذا كانت هذه العلوم شرعية لاعتمادها على مصادر الشريعة الإسلامية، فالعلوم الشرعية ما هي إلا قواعد معلومة وملزمة ومحددة لممارسة الاجتهاد في النص الشرعي، وكفيلة بالحد من الفوضى التشريعية وبغية الانسجام التشريعي والعقدي.

إذاً فالعلوم الشرعية هي علوم استمدت قدسيتها من نصوص الشرع الإسلامي، كأصول الفقه والفقه وعلم الحديث والتفسير والقراءات.. وغيرها من العلوم المرتبطة بالشرع والتي هي عبارة عن قواعد وضوابط لاستنباط واستخراج الحكم[١].

إذاً يمكننا أن نقول إن العلوم الشرعية أو الدينية هي تلك العلوم التي تدور مباشرة حول مسائل الدين الاعتقادية أو الأخلاقية أو العملية.

من خلال تعريف العلوم الشرعية يتبين مدى ارتباطها وعلاقتها الوثيقة بحياة المسلمين، لأنه بواسطة هذه العلوم يمكن معرفة الله سبحانه وتعالى ومعرفة نبيه صلى الله عليه وسلم، وذلك لأن لذة العلم بالله سبحانه وتعالى تعمل على فتح أبواب العلم الشامل. الذي ساعد على نهضة الأمة وسعادتها في الدنيا والدين. وللعلم الشرعي فوائد كثيرة تؤكد مدى علاقته بحياة المسلمين وحاجتهم إليه في كافة حياتهم المختلفة.

---

(١) انظر: المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية. د. عبدالكريم زيدان .(٨٩-١٢١)، النص الديني بين العلوم الشرعية والعلوم الإنسانية. يوسف هريمة. موقع الحوار المتحدث.

فهو يمنعنا من الوقوع في الذنوب والمعاصي ويساعدنا على تنمية الأخلاق الفاضلة وفيه تكتمل الفضائل التي هي جزء مهم من غايات إرساله صلى الله عليه وسلم حيث يقول: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) [١].

ومن فوائده أنه يمنعنا ويعصمنا من الفتن ويبعدنا عن الشر وأسبابه، لأن القلوب إذا امتلأت بالعلم تحصنت به من الوقوع في الشبهات والانجراف وراء الشهوات، لأن العلم يترك في قلب صاحبه أثراً من خلال إيمانه العميق، والإقبال على الله سبحانه وتعالى والتوبة والاستغفار من الذنوب.

إذاً فحاجة المسلمين إلى العلوم الشرعية حاجة ملحة كحاجتهم إلى الماء والهواء لأنها هي الطريق التي من خلالها يحققون السعادة في الدنيا والآخرة إذا ما ساروا على وفق ما جاء في هذه العلوم، فعلم العقيدة يعرفهم بالله تعالى وبما لهم وما عليهم في هذا المجال من اعتقادات وإيمان بالكثير من الغيبيات مثل الإيمان بالجنة والنار وعذاب القبر والملائكة وغير ذلك من الأمور التي يلتزم بها المسلم من خلال علم العقيدة الذي هو أحد أهم العلوم الإسلامية، وعلم الفقه يوضح للمسلم الطريقة والكيفية التي يتعامل فيها مع ربه أو مع إخوانه ومجتمعه وذلك من خلال فقه العبادات أو فقه المعاملات اللذين إذا سار المسلم على ضوء ما جاء فيهما فإنه سوف يحقق السعادة الكاملة من خلال إرضائه لله تعالى بعبادته على الوجه الأمثل، من خلال كسب رضا الناس ومودتهم ومحبتهم لمعاملته إياهم وفق ما ارتضاه الشارع الحكيم الذي

---

(١) أخرجه البيهقي في سننه . (١٩٢/١٠) ، والهيثمي في مجمع الزوائد . (١٨٨/٨) . وقال رجاله رجال الصحيح .

وضع أفضل الأسس والقوانين التي يسعد بها أي مجتمع من المجتمعات إذا ما سار على ضوئها لأنها من وضع أحسن الخالقين جل في علاه، وكذلك علم الأخلاق الذي لا يوجد مثله أو شبيهه له في أي نظام من الأنظمة القديمة والحديثة كونه جاء شاملاً وملماً بجميع جوانب حياة الإنسان الخاصة أو العامة مما يحقق معه السعادة الكاملة لكل أفراد المجتمع بل والمجتمعات الأخرى التي يتعاملون معها سواءً كانت مؤمنة أم كافرة لأنها تلمس مباشرة قيمة هذه الأخلاق وفائدتها لكل الناس. فعلم الأخلاق إذاً من العلوم التي لها علاقة مباشرة بحياة الناس في جميع الأماكن والأزمنة ولا يمكن أن تستقيم حياة المسلمين بدونه وواقعنا يشهد بذلك.

علاقة العلوم الشرعية بحياة المسلمين علاقة وثيقة نتيجة لحاجتهم لها لكثرة ما يقعون فيه من أعمال نابعة من الجهل بالله سبحانه وتعالى من خلال انتشار الكثير من المعاصي والبدع التي ظهرت في حياة الناس، التي لو وجد العلم في حياة الناس لما كان لها هذا الظهور والانتشار.

فالعلم إذاً هو نبراس الحياة وهو النور الذي تستضئ به البشرية، وتعرف حقوق خالقها سبحانه وتعالى، وحقوق العباد، وكيفية التعامل مع أفراد المجتمعات سواءً في الأطر الدينية أم الاقتصادية وتبادل المصالح، أم في الأطر الإنسانية، وذلك لأن مفهوم العلوم الدينية لدى بعض علماء العصور المتأخرة اختلف عما سبق فهم يرون أن كل علم ينفع المسلمين وأحوالهم ولازم لهم، يعتبر من العلوم الدينية، لأن من أخلص نيته لخدمة الإسلام والمسلمين

وتعلم لذلك علماً شمله الثواب والأجر من الله تعالى بسبب ما لاقاه في سبيل تعلم هذا العلم النافع للأمة لا فرق في ذلك بينه وبين من تعلم العلوم الشرعية.

لذلك فإن أي علم فيه نفع للإسلام والمسلمين والدفاع عنهم وإعلاء شأنهم وتمكين لدينهم فهو علم إسلامي يؤجر المرء عليه.

إذاً فعلاقة العلوم الشرعية بحياة المسلمين علاقة قوية ووثيقة نتيجة لحاجة المسلمين لهذه العلوم التي توصلهم إلى الحقيقة وتدلهم على الطريق الصحيح الموصل لسعادة الدنيا والآخرة[١].

رابعاً : الهدف من إنشاء كليات الشريعة والدراسات الإسلامية

عرف العالم الإسلامي منذ وجوده الأول المدارس الدينية التي قامت بتفسير القرآن والسنة النبوية المطهرة، وقد بدأ ذلك بشكل فردي من الصحابة رضوان الله عليهم، ثم جاء التابعون من بعدهم لنقل ما أثر عن الصحابة ثم تكونت المدارس الفقهية واللغوية والأدبية، فكانت المدارس خلال هذه الفترة جل علومها علوم الشريعة الإسلامية، وكان أغلبها عمل تطوعي وأهلي مجتمعي لا تشارك فيه الدولة بشكل أساس إلا في بعض المناطق الرئيسة، واستمر الحال على هذا فترة طويلة حتى بدأت تظهر علوم أخرى غير العلوم الإسلامية وذلك في عهد النهضة فكان بعد ذلك العالم يلم بعلوم كثيرة ومختلفة، ولكن العلوم الإسلامية ظلت هي الأساس.

---

(١) انظر : المناهج التربوية من منظور إسلامي . مقال للدكتور / حسن عبدالرحمن الحسن . في موقع المشكاة الإسلامي ، التربية لماذا . محمد حسن يعقوب ، موقع الشبكة الإسلامية ، التفكير الإبداعي في المناهج الدراسية لمقررات الفقه وأصوله . د. فريدة زوزو . مقال في موقع الإسلام اليوم .

ولم يدم ذلك طويلاً لأن الأمة تعرضت للعديد من الهجمات التي كان الهدف منها إبعاد الأمة عن دينها ومنهجها، وذلك لن يتم إلا بالتخلص من العلوم الشرعية ومحاربتها وإبعادها عن مناهج التعليم بشكل عام وإذا كان لابد من وجودها فإنه لابد أن تكون بصورة سلبية يحيطها الكثير من الغموض والكثير من المعلومات المغلوطة التي تعطي تصوراً خاطئاً عن العلوم الشرعية تجعل أبناء الإسلام ينفرون منها ويبحثون عن مناهج أخرى تكون أفضل من هذه المناهج المتخلفة والمتصادمة مع واقع الناس وحياتهم.

وقد حدث ذلك فعلاً في القرون المتأخرة حيث غيبت العلوم الشرعية وأبعدت عن حياة الناس لفترة طويلة حتى أصبح الناس لا يفقهون من أمور دينهم إلا الشيء القليل الذي يخالطه الكثير من الخرافات والبدع والانحرافات عن المنهج الصحيح.

وكما قيل فإن هذه الأمة تمرض ولا تموت لذلك فقد صحت الأمة وانتبهت من غفلتها وعادت إلى رشدها وأول ما فكرت فيه هو العلوم الشرعية فقامت بإنشاء الكتاتيب والمدارس والمراكز والمعاهد العلمية المتخصصة في العلوم الشرعية فقط من أجل إعادة العلوم الشرعية إلى الواجهة وتبيين أهميتها ومنفعتها للناس في جميع مراحل حياتهم فأدت هذه المدارس والمراكز جزءً من هدفها، ونتيجة للتطور الذي حصل في مفهوم التعليم في القرون المتأخرة فإن الدولة أصبحت هي المسؤول الأول عن التعليم بجميع مراحله وعليها أن تنفق عليه من مواردها العامة.

وبناءً على ذلك فقد أخذت الدول الإسلامية في سلم التعليم بالطرق الغربية من حيث توزيع سنوات الدراسة ومراحلها ومسمياتها، واستقدمت لذلك الخبراء الغربيين لتنفيذ هذه الطريقة بل وأحياناً وضع المناهج بشكل عام، والذي اعتمد على الدمج بين جميع العلوم لسن محددة ثم بعد ذلك يبدأ التخصص في أي فرع من فروع هذه العلوم المختلفة ومنها العلوم الشرعية.

لذلك قامت الدول بإنشاء كليات الشريعة والدراسات الإسلامية بل والجامعات الإسلامية من أجل إيجاد المتخصصين في جميع فروع العلوم الشرعية وكذلك من أجل إيجاد مدرسي التربية الإسلامية في المدارس والمعاهد والكليات والجامعات المتخصصة، وكذلك إيجاد الخطباء والدعاة والوعاظ والمرشدين. وهناك بعض من قام بهذا الدور مثل الأزهر وغيره من الجامعات والكليات التي تقوم بهذا الغرض وكان لأبنائها دور في هذا الأمر في مختلف القارات.

وهناك الكثير من الأهداف التي وضعت من أجل إنشاء هذه الجامعات والكليات يمكن أن نجملها فيما يلي:

١- إيجاد وإعداد الفرد المسلم الرسالي.

٢- تفجير الطاقات الإبداعية في نفس الطالب المسلم.

٣- تطعيم التحفيز العلمي بالمبادئ العقائدية.

٤- ربط الدراسات الإسلامية بحاجة الأمة الإسلامية.

٥- توجيه حياة المسلمين دنيا ودينا ً بالعلوم الإسلامية.

٦- توظيف الدراسات الإسلامية في الحياة العملية للمجتمع.

٧- تخريج متعلمين مستقلين فعالين وأفراد منتجين في المجتمع يتمتعون بقدرة على الابتكار والإبداع والتفكير في بدائل متعددة.

هذه هي أهم الأهداف ولكننا نرى من خلال الواقع أن الجامعات والكليات الحكومية لم تقم بالدور المطلوب منها مما أدى مؤخراً إلى مشاركة العلماء والدعاة في إنشاء كليات وجامعات خاصة تقوم بدور أفضل وأكبر من الجامعات والكليات الحكومية وهي بتزايد مستمر وأصبحت تؤتي أكلها في حياة الناس ، لذا فطن لها أعداء الأمة وألزموا الدول الإسلامية بمحاربتها وإغلاقها وربط التعليم الديني بالحكومات التي يمكن السيطرة عليها بتدريس الدين بالطريقة التي يريدها أعداء الأمة وهذا ما حصل للأمة في السنوات الأخيرة مما جعل التعليم الديني يصبح باهتا لا يؤدي الغرض منه سواء في الجامعات أو الكليات كما سيأتي معنا لاحقاً[١].

لذا برزت الدعوة للكليات الخاصة والمتخصصة في هذه العلوم حتى تقوم بالدور المناط بها وهذا ما ذكره الدكتور يوسف القرضاوي عند حديثه عن الهدف من إنشاء كليات متخصصة بالدراسات الإسلامية بدولة قطر في هذا الوقت الصعب الذي تمر به الأمة حيث قال: نحن بحاجة إلى خريجين يخاطبون الناس بلغة العصر الذي نعيشه وبمنطق العصر الذي نحياه، وهذا لا

---

(١) انظر : مناهجنا .. آخر الحصون مناهج التعليم الديني في العالم الإسلامي . مقال لكمال حبيب . في موقع صيد الفوائد ، التفكير الإبداعي في المناهج الدراسية لمقررات الفقه وأصوله . د. فريدة زوزو . مقال في موقع الإسلامي اليوم ، تغير المناهج التربوية في العالم الإسلامي بعد ١١ سبتمبر . الأستاذ عبدالرحمن سعيد . مقال في موقع حركة مجتمع السلم الجزائرية ، مجلة البيان العدد ١٧٣ المحرم ١٤٢٣هـ ص٩٤ ، الجديد في أساليب التعليم . إبراهيم أحمد مسلم. ص١٣٥، دار البشير. عمان – الأردن . ط١ ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م .

يعني تجاهل العلوم الإسلامية، ولا يعني الاستجابة لدعاوي من ينادون بعصرنة الإسلام وتحديثه مع تجاوز الأصول، ولكن الهدف هو تخريج علماء يحافظون على الأصول والثوابت الإسلامية دون أن يعطوا ظهورهم للعصر الذي يعيشون فيه[١]. وهذا ما افتقدته الجامعات والكليات الحكومية الخاضعة غالباً للحكومات.

خامساً : نظرة في مناهج هذه الكليات وعلاقتها بحياة الناس ومشكلاتهم.

المؤسسات التعليمية كلها بما فيها الجامعات والكليات هي المؤسسات التي تهتم ببناء الفرد المسلم من جميع جوانبه الاجتماعية والنفسية والعقلية والخلقية والجسدية وتعدل من سلوكه واتجاهاته.

وبالنظر في مناهج هذه الجامعات والكليات نرى أنها قاصرة ولا تؤدي المطلوب منها نتيجة للعديد من الأسباب التي منها:

أن الأسلوب الغالب في التدريس هو الأسلوب نفسه، يتكرر لعقود من الزمن، ويتكرر في كل جامعة وفي كل معهد للدراسات الإسلامية، وفي معظم البلاد الإسلامية، وغيرها من بلاد العالم التي تحتوي على هذا النوع من الدراسات.

يتمحور هذا التعليم حول التلقين والحفظ وشحذ الذاكرة بعيداً عن التفكير والمقارنة والتمييز وتنمية الفكر، لذا فإن العلوم الشرعية تعاني بشكل عام، لأنها تخرج حفظة وحملة فقه في الأعم الأغلب، ولا تخرج فقهاء.

تخرج نقلة يمارسون عملية الشحن والتفريغ والتلقين، ولا تخرج مفكرين ومجتهدين يربون العقل وينمون التفكير، وإن كانت هذه الطريقة قد نجحت في

---

(١) انظر : موقع جريدة الوطن القطرية على الانترنت.

الماضي للعديد من العوامل إلا أنها في الوقت الحاضر لا يمكن أن تنجح لاختلاف الزمان والمكان وتوفر الكثير من الوسائل التي يمكن من خلالها اختزال عملية الحفظ والتحول إلى طريقة جديدة تؤتي ثمارها على الشكل المطلوب تقوم على الفهم والتفسير والمقارنة والنقد، من خلال تشجيع الطلاب على المشاركة في أهداف الدرس والنشاط وتشجيعهم على تبني ذلك.

ولم يقتصر الأمر على هذا الخلل وإنما استتبعه أن المدرسين يدرسون المادة بطريقة جافة غير حيوية، مفرغة من مقاصدها، التي تعتمد على الأساس الإيماني الذي يشحذ الهمة، ويقوي عزيمة الطالب للبحث وتلقي العلم، فالبعد الإيماني لكل درس على حدة، له دلالته القوية على ارتباطه بحاجات الأمة الإسلامية، ناهيك عن تحبيب العلم في نفوس الطلاب، لأجل أن يتكونوا عقلياً وعملياً، فيستطيعون الخروج إلى معترك الحياة أفراداً فعّالين منتجين.

وكذلك فإن المدرسين لا يعملون على إخراج باحثين ومناقشين من خلال قيامهم بتلقين الطلاب كل شيء حتى الأمور والقضايا المعاصرة التي تحتاج إلى بحث واجتهاد لأنهم يقومون بتلقينهم خلاصة ما وصل إليه العلماء فيها ولا يدعونهم للبحث والمناقشة والاستنباط حتى يصلوا إلى حكم الشرع فيها، لأن الغرض من تدريس الفقه الإسلامي المعاصر ليس البحث عن حلول للمشاكل والتحديات التي تواجه الأمة حالياً – لأن ذلك ممكن أن يقوم به أي عالم موجود – وإنما الهدف هو تعليم الطلاب الطرق الصحيحة لاستنباط الأحكام الشرعية من مضانها ومداركها للوقائع والنوازل ، لأن أغلب هذه الوقائع والمستجدات ليس فيها نصوص صريحة وإنما تحتاج إلى طرق وقواعد يتمكن

من خلالها طالب العلم أن يستنبط لها حكم شرعي يتوافق مع أحكام الشريعة الإسلامية ومقاصدها وهذا هو الدور المطلوب من طلاب هذه الكليات.

لذا فإننا نرى أن العلوم الشرعية في أغلب الجامعات والكليات لم تؤدي دورها على الشكل المطلوب ، والعيب ليس في هذه العلوم والمناهج لأنها قد قامت في السابق بدور كبير في نهضة الأمة وبروزها في مختلف المجالات، بل إنها تسيدت العالم في فترة من الفترات وأصبحت قبلة العالم وذلك كان باستخدامها وتطبيقها لهذه العلوم فالعيب إذاً ليس في هذه العلوم ، وإنما العلة في طرق تدريس هذه المناهج التي حولت هذه المناهج إلى مواد جافة ميتة لا حياة فيها ولا روح مع أنها مواد فيها روح فياضة لمن أدرك ذلك سواءً في العقيدة أو الحديث أو الفقه أو التفسير أو غيرها من تلك العلوم .

نتيجة لذلك فإن هذه المناهج أصبحت مفرغة من أهدافها وغاياتها العليا المتمثلة في الاستجابة لحاجة الأمة ، وعلاج مشكلاتها ، وتطبيق مبادئها، لذا فإنك أصبحت ترى أن المتخصص في العلوم الشرعية لا يكاد يفقه الكثير من مفردات المقررات التي قام بدراستها لأنه لم يكمل أغلب تلك المقررات وانتقل إلى مقررات أخرى مع أنه جاهل في المقررات السابقة ، وهذا حاصل في أغلب الجامعات والكليات لأنها تعتمد على الفصل والساعة ولا تعتمد على الانتهاء من الكتاب أو المادة ، لذا فإن الطالب قد يحصل على شهادة عليا في العلوم الإسلامية على الرغم من أنه لم يكمل كتاباً واحداً في فرع من فروع هذه العلوم مما ينتج عنه الجهل بالكثير من الأحكام الشرعية لعدم اطلاعه عليها ودراسته لها فيصبح جاهلاً ولكن بشهادة علمية وهذا هو

المقصود والهدف لطلاب العلوم الشرعية حتى لا يكون لهم أي تأثير في واقع الحياة لأنه لا فرق بينهم وبين غيرهم من عامة الناس أحياناً إلا الشهادة لذا فإننا رأينا طلاب علوم شرعية لا يعرفون سنن الوضوء أو نواقض الإيمان أو معنى لا إله إلا الله بل والأشد من ذلك أن غالبية هؤلاء الخريجين لا يستطيعون قراءة القرآن على الوجه الصحيح مع أن تخصصهم هدف ذلك ولكن للأسف فإن ذلك لم يحصل.

والمطلع على هذه المقررات يجد أنها تعتمد على مؤلفات القرون السابقة دون إضافة لأي جديد في حياة الأمة لذا فإنك تجد الطالب مرتبط بالماضي ولا علاقة له بالحاضر وبالمسائل والمستجدات التي تحدث في حياة الأمة، وإن سمع أحياناً ببعض المستجدات وفتاوى العلماء حولها إلا أنه لا يعرف على ماذا قامت هذا الفتوى أو الأصول التي استنبطت هذه الفتوى منها، لذا فإنه يكون مثله مثل غيره من عامة الناس في عدم إدراك مقاصد التشريع الإسلامي.

وذلك نتيجة لعدم ربط المقررات والمناهج بواقع الأمة . ولا يمنع ذلك من الاستفادة من الكتب والمؤلفات السابقة والتي تعتبر هي الأصل . ولكن نحن الآن في عصر مختلف تتكرر فيه الحوادث وتستجد يومياً فنحن بحاجة إلى من ينظر إليها من خلال مناهج الشريعة الإسلامية ويوجد لها الحلول وفق ذلك، لذا فإنه يجب أن تكون هذه المواد والمقررات متواكبة ومتوائمة مع الحياة بما يجلب لهم النفع والمصلحة المتوافقة مع الشريعة الإسلامية.

وأما علاقة هذه العلوم بحياة الأمة ومشكلاتها في هذا الوقت فإننا نرى أنه لا توجد أي علاقة غالباً فالأمة في واد وهذه الكليات في واد آخر وذلك لأنها ليست مؤهلة لأن تلعب هذا الدور أو لا يراد لها ذلك مع أنه قد يكون فيها أناس يمكنهم أن يعملوا الكثير من خلال علمهم الغزير وخبرتهم الطويلة في هذا المجال، ولكن هذا غير مطلوب في الوقت الحاضر الذي يجب فيه تنحية العلوم الشرعية عن واقع الناس وحياتهم، بل وصل الأمر إلى المطالبة أحياناً بإقصاء الدين كلياً عن حياة الناس وهم يعملون على ذلك ليلاً نهاراً ، حتى يتحقق لأعداء الأمة كل ما يريدونه من هذه الأمة التي سوف تظل بدينها وبعلومها المختلفة هي المهدد الصريح لكل ما هم عليه من باطل

من ناحية أخرى فإننا نجد الأمة تعاني الكثير من المشاكل التي أصبحت تشكل خطراً على سلامة المجتمع المسلم وتؤدي به إلى الانحراف عن منهج الله تعالى وعن السير وفق منهجه وشريعته.

وهناك العديد من المشاكل منها: التخلف العقدي وما جر على الأمة من مصائب وويلات جعلت الكثير من أبنائها يتوجهون بالعبادة والدعاء والطلب إلى غير الله تعالى وغير ذلك من المخالفات العقدية المنتشرة بين أفراد الأمة .

ومن ذلك أيضاً الفساد الأخلاقي الذي طغى على حياة الأمة حتى أصبح مألوفاً ولا ينكره أحد على الرغم من خطورته ونهي الإسلام عنه ولكن ذلك لا يمثل أي رادع لعمل مثل تلك الأعمال كالزنا والقذف والغيبة والنميمة وغير ذلك.

ومن تلك المشاكل المشكلة الاقتصادية وانتشار الربا والفقر والجوع اللذين أصبحا العنوان الملازم لأبناء الأمة الإسلامية بالذات .

وكذلك مشكلة الجهل والأمية المنتشرة بين أفراد الأمة بصورة مخيفة تدعو إلى القلق ، وهذا في عصر تفجرت فيه المعلومات بصورة لم يسبق لها في التاريخ مثال وكذلك تنوع وسائل التعلم وطرقه .

هذه المشاكل جزء من المشاكل الكثيرة والمتنوعة في حياة الأمة في مختلف جوانب حياتها والتي قد تهدد وجودها ومع ذلك نرى أن كليات الشريعة والدراسات الإسلامية وخاصة الحكومية لا تعير هذا الأمر أي اهتمام ولم تحاول أن تضع الحلول والتصورات التي تساعد الأمة في تجاوز هذه المشاكل بصورة علمية وصحيحة ، وواقع الأمة يشهد بذلك وإن كانت هناك بعض المحاولات من بعض هذه الكليات ولكنها لا ترقى إلى مدى الطموح والأمل فيما لو أولت هذه الأمور جل اهتمامها وشعرت بخطورة واقع الأمة مما يتحتم عليها عند ذلك البحث بجدية في إيجاد الحلول المناسبة لهذه المشاكل وفق منهج الشريعة الإسلامية الذي يواكب حياة الإنسان في أي فترة من فترات حياته من خلال مصادرها المتنوعة التي لا تعجز عن إيجاد حل لأي مشكلة في أي وقت من الأوقات[١].

([١]) انظر : الجديد في أساليب التعليم. ص١٣٥ ، الأسس الإسلامية للعلم . محمد معين صدقي. ص٥٨ . المعهد العالمي للفكر الإسلامي . ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م، اتجاهات معاصرة في مناهج وطرق تدريس العلوم . يعقوب حسين نشوان . ص١٤١. ط٢. دار الفرقان. عمان – الأردن، مجلة البيان العدد ١٧٣ . ص٤٩ ، أمة في خطر مداخلة عن مناهج التعليم في الوطن العربي. مقال لسالم مبارك الفلق في موقع صيد الفوائد.

سادساً: كيفية تفعيل هذه المناهج وربطها بواقع الناس

الشريعة الإسلامية ابتنت على جلب المصالح ودرء المفاسد بمعنى أن الشريعة الإسلامية جاءت لتحقيق مصالح الناس بشكل عام وهذه المصالح المتوافقة مع منهجها – أي مصالح من منظور الشرع لا من منظور بشري – وجاءت كذلك لتدفع عنهم أي مفسدة قد تصيبهم، وهذا الأمر لتحقيقه لابد من مناهج ومعارف يسير عليها الإنسان ، وهذه المناهج تكون متوافقة مع مقاصد الشارع الحكيم ومضبوطة بضوابطه .

وهذه المناهج هي العلوم الشرعية وغيرها من العلوم التي تقوم على خدمة الإنسان وتقوده إلى تحقيق سعادة الدنيا والآخرة – أي تحقق مصالحه – والتي جاء الشرع الإسلامي ليدعو إليها ويؤكدها.

وهذه العلوم حتى تحقق هذه الغاية لابد من تفعيلها وتحديثها وتطويرها بشكل يجعلها مواكبة لحياة الناس وللمستجدات المتكررة التي تواجهها الأمة بشكل مستمر، وأما إذا استمر الوضع على ما هو عليه فإننا سوف نرى الانفصام بين المنهج المنير والواقع المرير، فنحن الآن نرى انفصاماً نكداً بين منهجنا الرباني وواقع الأمة في جانب العقيدة، وجانب العبادة، التشريع، والاتباع، والأخلاق والمعاملات والسلوك، أي أن منهجنا الرباني المنير والواضح في جهة، والأمة الإسلامية في جهة أخرى بعيدة عن منهجها الصحيح مما أدى إلى تراجعها وتخلفها بشكل كبير.

لذا لابد من تفعيل هذه العلوم وتطويرها وخاصة ما يتعلق بحياة الناس، ولا يعني ذلك تغيير هذه المناهج كما يريد أعداء الأمة ويروجون له وإنما الهدف هو ربط هذه المناهج بواقع الناس وحياتهم بحيث يسيرون على ضوئها

ويلتزموا طريقها المؤدي إلى نهوض الأمة واستردادها لمكانتها العلمية والثقافية والاقتصادية والعسكرية وهذا يمكن أن يكون من خلال بعض الخطوات منها:

أولاً : يجب في المنهج الدراسي أن تكون له ثوابت لا يحيد عنها لبناء الإنسان المسلم المتمسك بعقيدته، لأن العقيدة إذا ما استقرت في قلب الفرد فإنه لا يستطيع أي شخص أن ينزعها منه مهما بلغت قوته وخاصة العقيدة الإسلامية التي تقوم على ثوابت قوية تجعل صاحبها يشعر بعزة وقوة تمكنه من التفكير والإبداع لمصلحته ومصلحة أمته، وهذا هو ما كان لدى الأمة في السابق لما كانت تملك عقيدة قوية ذات ثوابت صحيحة وسليمة استطاعت من خلالها حكم العالم الذي أعجب بهذه العقيدة وقوتها وقدرتها على تغيير النفوس، ولكن لما غابت هذه الثوابت وهذه العقيدة من مناهجنا أصبح حالنا هذا الذي لا يخفى على أحد.

ثانياً : يجب أن يكون المنهج الدراسي متوازناً ومرناً يتلاءم مع حياة الناس وما يستجد فيها من أحداث بإيجاده للحلول الشرعية لهذه الأحداث، وكذلك يجب أن يكون قابلاً للتعديل بالإضافة أو الحذف فيما يتعلق بالفروع التي يجوز فيها الاجتهاد ويمنع ذلك في الأصول المتفق عليها والتي لا يجوز الاجتهاد فيها، وهذا التعديل أو الحذف يكون وفق ما تتطلبه وتقتضيه مصلحة المجتمع المسلم، وبهذا يواكب المجتمع المسلم التطور الذي يحدث من حوله في المجتمعات الأخرى، وبما يوافق الشريعة الإسلامية ومقاصدها.

ثالثاً : يجب أن تكون المناهج الدراسية مترابطة ومتكاملة بين مناهج العلوم الشرعية وعلوم الحياة والمواد الاجتماعية والتربية الأسرية وجميع العلوم الأخرى

التي ترتبط بحياة الناس وتعود بالنفع والمصلحة علهم ، وبهذا تعود التربية إلى منابعها النبوية الإسلامية التي ربت الأجيال وبنت الحضارة الإسلامية الزاهرة من خلال مجموعة من العلماء الذين كانوا يمثلون موسوعات علمية مختلفة فيها نفع للناس سواءً كانت علوم شرعية أو علوم أخرى مثل الفيزياء والرياضيات والكيمياء وغيرها من العلوم التي بنت الحضارة الإسلامية السابقة، وهذا الذي نريده من طلاب العلوم الشرعية بحيث يكونون على صلة بواقعهم وما يستجد فيه من علوم ومعارف قد تصبح ضرورية في حياة الإنسان أو قد يستغلها في منافع الأمة.

رابعاً : يجب أن تعتمد هذه المناهج على مصادر أصلية لا يمكن أن يكون حولها خلاف، يكون لهذه المصادر القدرة على إيجاد الحلول والتصورات للواقع وأحوال الأمة من هذه المصادر **أولاً** :**القرآن الكريم** الذي يجب على الأمة أن تستقي منه منهجها في كل مناحي الحياة، في السياسة، والاقتصاد، والأخلاق ، والتعليم، والتربية، والسلوك، وغير ذلك من جوانب الحياة، لأن القرآن الكريم هو منهج حياة لكل من عمل به وطبقه .

المصدر الثاني: السنة التي لا يوجد بينها وبين القرآن أي انفصام أو افتصال وهي شارحة ومبينة ومفصلة للقرآن.

المصدر الثالث: هو منهج السلف باعتباره يمثل التطبيق العملي للقرآن والسنة من خلال إطلاعهم على تطبيق النبي صلى الله عليه وسلم لأحكام الشرع أثناء معايشتهم له والسماع منه والاقتداء به وتطبيق سنته .

هذه المصادر يجب أن تكون هي مرجع جميع المناهج الدراسية حتى لا تفترق الأمة ويسود الخلاف بين أبنائها، أما فيما يخص المسائل المستحدثة، فيجوز فيها الاجتهاد ولكن وفق مقاصد هذه المصادر.

خامساً : يجب إعطاء المناهج الدراسية المقررة على الطلاب الوقت الكافي الذي يؤدي إلى الانتهاء منها بشكل كامل ، لا كما يحصل الآن إذ أن أغلب المواد لا يتم الانتهاء منها لقصر المدة الزمنية المخصصة لها مما يؤدي إلى عدم إكمال دراستها من قبل الطالب ، وإذا كان ضرورياً الاستمرار في هذه الطريقة الدراسية فهناك حل آخر هو تقسيم هذه المواد إلى أقسام متعددة يدرس كل قسم في فصل منفصل ينتج عنه في النهاية إلمام الطالب بجميع فروع هذه المادة .

سادساً: يجب أن تتغير منهجية التدريس من نمط يقوم على الحفظ والاستظهار إلى نمط مغاير يتأسس على الفهم والتفسير والمقارنة والنقد ، وتشجيع الطلبة على المشاركة في أهداف الدرس والنشاط من خلال تبني هذه الأهداف وكيفية تحقيقها على أرض الواقع، مما يربط الطالب بالمادة بشكل كبير يجعله يفكر ويقترح ويناقش ويضع الحلول المناسبة.

سابعاً : يجب أن تتنوع طرق التدريس بعد أن عرفنا أن طريقة التلقين ليست الطريقة المجدية في هذا العصر بالذات، عصر المعلوماتية، وعصر التكنولوجيا، وعصر السرعة في كل شيء، فكان لا بد من الاستعانة بطرق أخرى أكثر فاعلية، وأيسر تعاملاً مع الطلاب ومن هذه الطرق استعمال تقنية

المعلومات والتي من شأنها أن تضفي على الدرس حيوية واهتماماً متزايداً من قبل الطلاب وغير ذلك من الفوائد .

ومن هذه الطرق أيضاً: تنويع الأنشطة داخل القاعات من خلال طرح الأسئلة ودعوة الطلاب إلى المناقشة أو الكتابة على السبورة، أو استخدام وسائل التعليم التوضيحية .

ومنها : ربط الدرس بالواقع الذي يعيشه الطلاب مع ضرب الأمثلة مما يجذب انتباه الطلاب مثل ربط الزكاة مع الاقتصاد والفقر المنتشر بين الناس وغير ذلك من المواضيع التي يعيشها الطلاب يومياً ، وهناك الكثير من الطرق الأخرى لم نذكرها خوف الإطالة .

ثامناً : يجب الاهتمام بالمدرس بصورة كبيرة لأنه هو محور العملية التعليمية وهو جوهرها وهو الطريق الصحيح لتوصيل المعلومات الصحيحة إلى الطلاب، لذا فإنه لابد من تأهيله وحثه وتشجيعه على الإبداع والتفكير وإخراجه من أسطر الكتب القديمة التي كُتبت وفقاً لمتطلبات ونوازل عصرها، وظروف أفرادها، وذلك ليواكب متغيرات وتحديات عصره الذي يعيشه، لأن التحديات تختلف من عصر إلى آخر، والمتغيرات الطارئة تتمايز وتتباين، وهذا لن يتم إلا من خلال إعداد المدرس إعداداً متميزاً للوقوف في وجه التحديات التي يواجهها الإسلام والمسلمين .

تاسعاً : يجب على الأستاذ أن يطور نفسه باستمرار من خلال البحث والمتابعة لكل جديد في فنون العلم المختلفة التي تساعده على تطوير أدائه ، وعليه كذلك أن ينوع من أساليبه في إلقاء الدرس من خلال استخدام وسائل التقنية التي

تسهل له الموضوع وتجمعه بصورة مبسطة، أو من خلال دفع الطلاب للمشاركة والمناقشة في القاعة، أو من خلال تكليف الطلاب بعمل البحوث المتعلقة بحياة الناس وواقعهم ومن ثم مناقشتها أمام الطلاب جميعاً في القاعة وغير ذلك من الأساليب التي تطور أداء الأستاذ وتجعله أكثر نفعاً وفائدة للطلاب، وعليه أيضاً أن يتمثل أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في التعليم من الرفق والرحمة واللين والبشاشة والتواضع وتجنب ما عداها من أخلاق منفرة للمتعلمين .

هذه هي أهم الخطوات التي يمكن من خلالها تفعيل العلوم الشرعية والنهوض بها حتى تتواكب مع حياة الناس ومستجداتهم وإن كان هناك غيرها الكثير التي تركتها مخافة الإطالة[١] .

أما بالنسبة لربط هذا العلوم بواقع الناس فإن ذلك يمكن من خلال الآتي:

١- إنشاء مراكز متخصصة في مختلف العلوم التي تتعلق بحياة الناس تضع الحلول والمقترحات لكل ما يواجه الناس في حياتهم من خلال تواصل الناس مع هذه المراكز وتفاعلهم معها وتنفيذ جميع الحلول والتصورات

---

(١) انظر : الجديد في أساليب التعاليم . ص١٣٥، الأسس العلمية للعلم ، ص٥٨ ، اتجاهات معاصرة في مناهج وطرق تدريس العلوم ، ص١٤١، التفكير الإبداعي في المناهج الدراسية لمقررات الفقه وأصوله . مقال للدكتورة فريدة زوزو . في موقع الإسلام اليوم ، مجلة البيان . العدد ١٧٣ .ص٩٤، البحث التربوي وتطبيقاته في الدراسات الإسلامية في الجامعات . إسلامية المعرفة . السنة ٨ . العدد ٣٠ . خريف ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م . ص٨٥ .

التي تضعها والتي سوف تكون غالباً متوافقة ومتوائمة مع مقاصد الشريعة الإسلامية .

٢- النظر في واقع الناس ومشاكلهم المتكررة والتي لها تأثير مباشر على حياة المجتمع بشكل عام، ومن ثم تكليف لجان متخصصة تدرُس هذه المشاكل العامة وتضع لها الحلول والتصورات المناسبة وتقدمها إلى جهات الاختصاص لتطبيقها على أفراد المجتمع بما يتوافق ويتلاءم مع أهداف الشريعة التي جاءت لتحقيق مصالح الناس ورعايتها .

٣- إعداد مجموعة من الدعاة الذين يتم توزيعهم بشكل يتناسب مع واقع كل مجتمع ومشكلاته التي يعيشها ، ولا يكتفي بذلك بل لابد من متابعتهم والإشراف عليهم وتسهيل مهمتهم وتقييم النتائج بعد ذلك.

٤- إنشاء مراكز للفتوى تكون تابعة لهذه الكليات في مختلف أرجاء الوطن تسهل للناس التعرف على الأحكام التي يتعرضون لها، مما يوحد الفتوى ويضبطها ويمنع وقوع الناس بفتاوى بعض الجهال كما هو موجود الآن.

٥- إعداد مجموعة من المتخصصين والمجتهدين في أغلب العلوم الشرعية لمساعدة الدولة عند رغبتها في سن بعض القوانين والتشريعات المتعلقة بحياة الناس، فيكونون عوناً لها في صياغة هذه القوانين إلى جانب المشرعين الآخرين بحيث تكون هذه القوانين والتشريعات موائمة ومواكبة لمقاصد التشريع الإسلامي ولا تخالفه .

٦- إعداد مجموعة من العلماء والباحثين الذين يقومون برصد بعض المنكرات التي تنتشر في البلد ووضع الحلول المناسبة لإزالتها وعرضها على ولي الأمر حتى ينفذها.

هذه هي أهم المسائل التي يمكن من خلالها ربط هذه الكليات والعلوم التي تدرس فيها بحياة الناس وهناك غيرها الكثير.

سابعـاً : التوصيات والحلول:

هناك العديد من التوصيات التي لو عُمل بها أو ببعضها. حسب وجهة نظري الشخصية . لاستطعنا أن نحسن من وضع هذه الكليات وربطها بواقع الأمة ومشكلاتها منها :

١ـ يجب على الدول الإسلامية الاهتمام بالعلوم الشرعية بصفة خاصة وإعطاؤها الحيز الأكبر في جميع المناهج الدراسية في جميع مراحل التعليم المختلفة وتقديمها لهم بروح العصر وخاصة في الفروع المرتبطة بحياة الناس واختيار أفضل المدرسين لهذا المواد الذين يقدرون مهمتهم ويؤدونها على أكمل وجه ، حتى تترسخ أهمية هذه العلوم وفائدتها في عقول طلاب العلم مما يجعلهم يهتمون بها ويطبقونها في جوانب حياتهم المختلفة .

٢. يجب على الدول العربية والإسلامية أن تعيد النظر في مسألة تقسيم مراحل التعليم لأنها أخذت هذا من الغرب وهو يتكيف مع علومهم هم وليس مع علومنا نحن وإن كان ولا بد فيجب النظر في الساعات المخصصة للعلوم الإسلامية بحيث يتم وضع الوقت المناسب والكافي لاستيعاب كافة مفردات المواد المقررة حتى يلم الطلاب بجميع مفردات المادة .

٣ـ إعادة النظر في جميع مقررات الكليات المتخصصة بالعلوم الإسلامية من حيث ربطها بواقع الناس وما يستجد في حياتهم حتى تستطيع إيجاد الحلول لكل المشاكل والمستجدات التي تستجد في حياة الأمة .

٤ـ يجب إعادة النظر في طريقة تدريس هذه المواد وذلك باستخدام جميع الوسائل الحديثة التي يمكن من خلالها توصيل هذه العلوم إلى عقول وأذهان المتعلمين حتى وإن لم تكن موجودة عندنا من قبل فلا مانع بشرط عدم مخالفتها لمبادئ الإسلام .

٥ـ يجب الاهتمام بصفة خاصة بالأساتذة الذين يقومون بالتدريس في هذه الكليات من حيث التأهيل والتشجيع وإعطائهم المكانة التي يستحقونها في المجتمع نظراً لأهمية العلوم التي اكتسبوها وقاموا بتدريسها ، وهذا لا شك يدفعهم للإبداع والتفكير والتطوير المستمر في كل ما يتعلق بعلمهم وطريقة تدريسه من خلال البحوث والمؤتمرات والندوات والتأليف ومشاركة عامة الناس جميع المشاكل والمستجدات التي تحدث ووضع الحلول لها وهذا بلا شك يؤدي الغرض منه في خدمة هذه العلوم وإبراز مكانتها وأهميتها لجميع الناس بل والتنافس والتسابق على تعلمها وتحصيلها.

٦ـ يجب على جميع أفراد الأمة تحملهم تجاه هذه العلوم من خلال تعليم كل ولي أمر أبناءه هذه العلوم وتبيين مكانتها وأهميتها لهم في جميع مراحل أعمارهم ، ومن خلال تطبيقها والعمل بكل ما جاءت به دونما اعتراض ، وممن خلال تحاكم جميع أبناء الأمة إلى هذه العلوم في كل ما يواجههم في حياتهم وتنفيذ كل ما تأمر به .

٧- أخيراً يجب على علماء الأمة الواجب الأكبر نظراً لمكانتهم في المجتمع واتباع أغلب الناس لهم وكذلك لمكانتهم لدى أغلب الحكومات الإسلامية .

لذا فإن عليهم أن يقوموا بالعمل على إعادة هذه العلوم إلى مكانتها من خلال ترغيب الناس بتعلمها وتعليمها لأبنائهم وما لذلك من خير كبير يعود على الفرد والمجتمع ، ومن خلال إبراز أهمية هذه العلوم ومدى ارتباطها بحياة وفائدة ذلك لهم وذلك بضرب الأمثلة الحية التي حدث فيها النجاح من خلال العمل بهذه العلوم وضرب الأمثلة من ماضي الأمة المجيد الذي لم يصله أحد قبلها ولا بعدها لشمولها لجميع حياة الناس وهذا لأنها عملت بهذه العلوم ، وعلى العلماء كذلك مداومة النصح للحكام والمسؤولين عن التعليم فيها على الاهتمام بالعلوم الإسلامية وربطها بواقع الناس والرجوع إليها في كل ما يخص الأمة وتطبيق جميع ما تأمر به ، وكذلك يجب عليهم بعد ذلك متابعة هذه الكليات وتوجيهها بكل ما من شأنه تدريس هذه العلوم على الشكل المطلوب والمناسب لزمان ومكان تدريسها مما يؤدي إلى تفاعل الناس مع هذه العلوم والارتباط بها وتطبيقها والالتزام بكل ما جاء فيها .

إذا قام العلماء بهذا الدور المناط بهم بكل صدق وأمانة وجرأة وعدم خوف فإن هذه العلوم سوف تعود إلي مكانتها وتصبح هي الموجه الوحيد لجميع شؤون حياة أفراد الأمة الإسلامية.

ثامناً: الخاتمـــة

للعلم أهمية كبرى في ديننا الإسلامي تتوافق مع الغاية التي من أجلها خلقت هذه الأمة وهي بأن تكون شاهدة على جميع الأمم وهذا لن يتأتى إلا من خلال العلم ، لذا فإن أبناء الأمة قديماً فطنوا لهذا الأمر وجعلوا العلم غاية من غايات وجودهم في هذه الحياة وبذلوا في سبيله الغالي والنفيس وخاصة العلوم الشرعية التي رسمت لهم طرق الخير والفلاح التي ساروا عليها فأوصلتهم إلى قمة العالم وسيادته في مختلف مجالات الحياة بل وصل الأمر إلى أن أعداءَهم أصبحوا يرسلون أولادهم ليتلقوا العلم على أيدي علمائهم واستمر هذا الأمر فترة طويلة من الزمن، ولكن الحال تغير وأصبحت العلوم الإسلامية لا تأثير لها في حياة الأمة بل وصل الأمر إلى اتهام هذه العلوم بأنها السبب في تخلف هذه الأمة وعليه فيجب إبعادها من حياة الناس.

ولكن هل هذا الأمر صحيح وأن العلوم الشرعية أصبحت لا فائدة منها؟ هذا الأمر أجيب عليه من خلال البحث السابق واتضح أن العيب ليس في هذه العلوم التي لا يمكن أن تفقد حيويتها وفائدتها في أي فترة من فترات الزمان ، وإنما العيب في المسلمين أنفسهم وذلك من خلال الطريقة التي يدرسون فيها هذه المواد ومن خلال من يقوم بتدريس هذه المواد واللذين كانا السبب فيما وصلت إليه هذه العلوم من الابتعاد عن حياة الناس والتأثير فيهم ، وقد بَيَّنا في ثنايا هذا البحث الطريقة التي يمكن من خلالها إعادة هذه المواد إلى حياة الناس وتأثيرها في حياتهم بشكل مباشر مما يدل على صلاحية هذه العلوم لكل زمان ومكان وعدم عجزها عن إيجاد الحلول لما يستجد في حياة

الناس من خلال مصادرها المتجددة التي لا تنضب مهما طال الزمن ، وذلك لأنها جزء من شرع الله تعالى الذي ارتضاه وشرعه لعباده وهو جل شأنه لا يشرع إلا ما فيه المصلحة لعباده .

إذاً فهذه المواد صالحة لكل زمان ومكان وتفي بحاجة الناس متى ما أعطيت حقها من الاهتمام والتطوير والتحديث مع ما يوافق حياة الناس ومستجداتهم وكذلك إذا أعطيت حقها من العرض الجيد والسليم والمشوق.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،،،

تاسعاً : المراجـــع والمصـادر.

أولاً : الكتـــب:

١- القرآن الكريم.

٢- البخاري. صحيح البخاري. أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي. الطبعة الثالثة. دار ابن كثير، اليمامة. تحقيق/ د. مصطفى ديب البغا ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٣- مسلم. صحيح مسلم. أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري. تحقيق /محمد فؤاد عبدالباقي. دار إحياء التراث العربي. بيروت – لبنان.

٤- ابن حبان. صحيح ابن حبان. أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي. تحقيق/ شعيب الأرنؤوط. ط٣ . مؤسسة الرسالة. بيروت – لبنان، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م .

٥- الترمذي . سنن الترمذي . أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي . تحقيق / أحمد شاكر وآخرون . بدون طبعة . دار إحياء التراث العربي . بيروت – لبنان .

٦- الهيثمي . مجمع الزوائد . علي بن أبي بكر الهيثمي . دار الريان للتراث . ودار الكتاب العربي . القاهرة ، بيروت ، ١٤٠٧هـ .

٧- ابن أبي شيبه . المصنف. أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبه الكرفي . تحقيق / كمال يوسف الحوت . الطبعة الأولى . مكتبة الرشد . الرياض، ١٤٠٩هـ .

٨- الجرجاني. التعريفات . علي بن محمد بن علي الجرجاني . تحقيق/ إبراهيم الأبياري . الطبعة الأولى . دار الكتاب العربي . بيروت – لبنان، ١٤٠٥هـ .

٩- الحاكم . المستدرك . أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري . تحقيق / مصطفى عبدالقادر عطا . الطبعة الأولى . دار الكتب العلمية . بيروت – لبنان ، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م .

١٠- زيدان . المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية . د. عبدالكريم زيدان . الطبعة السادسة عشر. مؤسسة الرسالة . بيروت – لبنان ، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

١١- البيهقي . سنن البيهقي . أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي. بدون طبعة . مكتبة دار الباز . مكة المكرمة – السعودية، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م .

١٢- مسلم . الجديد في أساليب التعليم . إبراهيم أحمد مسلم . الطبعة الأولى . دار البشير . عمان – الأردن ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م .

١٣- صدقي . الأسس الإسلامية للعلم . محمد معين صدقي . المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م .

١٤- نشوان . اتجاهات معاصرة في مناهج وطرق تدريس العلوم . يعقوب حسين نشوان . الطبعة الأولى . دار الفرقان . عمان – الأردن .

ثانياً : **المجلات والصحف** :

١- مجلة البيان السعودية .العدد .(١٧٣) .

٢- إسلامية المعرفة . العدد (٣٠) . السنة الثامنة ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م .

٣- موقع صحيفة الوطن القطرية على الإنترنت .

ثالثاً : **المواقع الإلكترونية على شبكة الإنترنت** :

١- موقع الإسلام اليوم.

٢- موقع الشبكة الإسلامية.

٣- موقع صيد الفوائد.

٤- موقع المشكاة الإسلامي.

٥- موقع حركة مجتمع السلم الجزائرية.

٦- موقع الحوار المتمدن.